

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْمُحْتَرَمُونَ،

لِأَجْلِ ذَلِكَ وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقَوْلِهِ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُقِلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»³ فَرَبَطَ بَيْنَ صِلَةِ الرَّحِمِ وَالْإِيمَانِ. نَفَهُمْ مِنْ هَذَا الرَّبْطِ الْقَوِيِّ أَهَمِّيَّةَ الْإِحْسَانِ إِلَى الْأَقْرَبِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْمُحْتَرَمُونَ،

الْإِحْسَانُ إِلَى أَقْرَبِنَا وَصِلَةِ الرَّحِمِ مِنْ نِعْمَةٍ رَبَّنَا وَامْتِحَانِهِ. هِيَ نِعْمَةٌ مِنْ حَيْثُ أَنَّ الْمَرْحَمَةَ تُورِثُ الْمَرْحَمَةَ وَأَنَّ الْإِحْسَانَ تُؤَدِّي إِلَى الْإِحْسَانِ. فَلِذَلِكَ تَكُونُ صِلَةُ الرَّحِمِ بَرَكَةَ الْعُمُرِ وَسُرُورَ الْعَائِلَةِ. وَبَشَّرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَنْ لَمْ يَقْطَعْ الرَّحِمَ بِالْجَنَّةِ. وَلَكِنَّهُ امْتِحَانٌ فِي نَفْسِ الْوَقْتِ فَإِنَّهُ يُرِيدُ الصَّبْرَ وَالْعَفْوَ وَالْمُدَاوِمَةَ. وَقَطْعُ هَذِهِ الْعَلَاقَاتِ مُحْرَمٌ.

فَلِذَلِكَ - إِخْوَتِي الْكِرَامَ - لِنَزْرِ أَقْرَبَاءَنَا مَا اسْتَطَعْنَا، وَلِنَسْأَلَ عَنْ أَحْوَالِهِمْ، وَلِنُسَاعِدَهُمْ مَادِيًّا وَمَعْنَوِيًّا عَلَى قَدْرِ الْإِسْتِطَاعَةِ. فَلَنَكُنْ قُدُواتٍ لِأَوْلَادِنَا وَوَسَائِلَ لِحِفْظِ هَذَا الرَّبْطِ الرَّحْمَنِ الْعَظِيمِ أَجْرُهُ.

جَعَلَنَا اللَّهُ مِنَ الَّذِينَ يُدْرِكُونَ نِعْمَةَ الْقَرَابَةِ وَوَفَّقَنَا عَلَى النَّجَاحِ فِي هَذَا الْإِمْتِحَانِ.

لَمْ يُخْلَقِ الْإِنْسَانُ لِيَعِيشَ بَوَحْدِهِ، بَلْ هُوَ بِحَاجَةٍ إِلَى حَيَاةٍ إجْتِمَاعِيَّةٍ. نَحْنُ كَبَشَرٍ لَا نَتَحَمَّلُ الْمَعِيشَةَ بِدُونِ عَائِلَاتِنَا وَأَوْلَادِنَا وَأَقْرَبَاتِنَا وَأَصْدِقَاتِنَا لَوْ قَتِ طَوِيلٌ. خَلَقْنَا رَبَّنَا الرَّحِيمُ مُحْتَاجِينَ إِلَى بَعْضِنَا بَعْضًا، وَقَسَمَ بَيْنَنَا الرَّحْمَةَ وَالْمَوَدَّةَ. وَمِنْ ذَلِكَ الْمَوَدَّةِ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ الَّتِي وَصَفَهَا رَبَّنَا تَعَالَى بِقَوْلِهِ:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾¹ فَالْمَوَدَّةُ بَيْنَ النَّاسِ - لَا سِيَّمَا بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ - أَمْرٌ فِطْرِيٌّ وَمُقْتَضَى الْإِنْسَانِيَّةِ. كَذَلِكَ الْمُنَاسَبَاتُ الْعَائِلِيَّةُ مِنْ حِكْمِ الْبَارِي تَعَالَى. فَتَجِدُ عِلَاقَةَ الْمَوَدَّةِ وَالْحُبِّ بَيْنَ الْأَقْرَبَاءِ كَالْعِلَاقَةِ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ فِي الْقُوَّةِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنَا اللَّهُ وَأَنَا الرَّحْمَنُ، خَلَقْتُ الرَّحِمَ، وَشَقَقْتُ لَهَا مِنْ اسْمِي، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَهَا بَتَّئْتُ»² يَعْنِي: مَنْ وَصَلَ الرَّحِمَ بَارَكْتُ فِيهِ وَرَحِمْتُ عَلَيْهِ وَمَنْ قَطَعَ الرَّحِمَ قَطَعْتُهُ مِنْ رَحْمَتِي.

إِخْوَتِي الْكِرَامَ،

إِنَّ الْعَلَاقَاتِ الْعَائِلِيَّةَ وَالزَّوْجِيَّةَ فِطْرِيَّةٌ وَأَمْرًا رَبَّنَا تَعَالَى بِحِفْظِهَا. وَأَحْيَانًا يَصْعُبُ عَلَيْنَا ذَلِكَ. وَقَدْ يَحْدُثُ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ أَوْ الْأَقْرَبَاءِ مُنَازَعَاتٌ وَمُشَاجَرَاتٌ. وَنَحْنُ كَمُؤْمِنِينَ نَعْلَمُ بَأَنَّهُ مِنْ حَقِيقَةِ الْحَيَاةِ. لِمَاذَا؟ إِنَّهُ مِنْ أَجْلِ امْتِحَانِ الْإِنْسَانِ بِخُلُقِهِ ضَعِيفًا عَجُولًا نَاقِصَ الصَّبْرِ.